

عثمان صالح سبي

الصراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ



الصَّرَاعُ
فِي حَوْضِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ
عَبْرَ الْتَّارِيخِ

عنان صالح سببي

الصُّرَاع
في حَوْض الْجَرَاءِ الْأَحْمَرِ
عَبْرَ التَّارِيخ



ililom@yahoo.com

المقدمة

اتخذ الصراع في البحر الاحمر عبر التاريخ المعاصر او في حقبة ما قبل الحربين العالميتين طابعا مميزا عن تلك الصراعات التي جرت في مناطق كثيرة أخرى من بقاع العالم وذلك للاهمية الاستراتيجية التي يشكلها هذا المر المائي لمصالح الاستعمار القديمة والحديثة ، فهو يعد من أهم المرات المائية الدولية التي تربط تجارة الشرق بالغرب عبر قناة السويس كما انه مر حيوى لنقلات النفط القادمة من الخليج العربي الى اوروبا وقد أصبح يشكل مع تزايد الصراع الاستعماري على المنطقة وفي ظل هاجس نضوب الشروة البترولية موقعا من اهم مواقع العالم حساسية خصوصا وان كل من المملكة العربية السعودية وارتريا والسودان وجمهوريتا اليمن ومصر تقاسمهما الاطلال على ساحليه الشرقي والغربي وهذا بحد ذاته عامل اساسي يجعل

الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل تهتمان اهتماما
كبيرا بالاوپساع السياسية على شاطئيه خصوصا وانه
يشكل المنفذ الحيوى للتجارة الاسرائيلية .

ان الدراسة التالية تشكل تتبعا واعيا للسياق
التاريخي لصراع البحر الاحمر وهي تحدد بشكل واضح
ابعاد هذا الصراع عبر التاريخ وانعكاساته ونتائجها .

« الناشر »

نبذة جغرافية

البحر الاحمر هو قطعة الماء المحشورة كالساندويش بين قارتي افريقيا وآسيا من خليج السويس الى باب المندب على امتداد طولي يبلغ ١٢٠٠ ميلاً (١٩٠٠ كيلومتراً) . ويبلغ عرضه الاقصى ٣٥٠ ميلاً وينخفض في الجنوب عند باب المندب الى ١٨ ميلاً . ويبلغ متوسط عمقه ٤١٤٠ قدمًا ومساحته (١٦٩٠٠) ميلاً مربعاً . وترتفع درجة الحرارة فيه صيفاً لتصل الى اكثر من ٤٦ درجة سنتجرید .

وتقع على شاطئه الشرقي المملكة العربية السعودية واليمن وعلى شاطئه الغربي مصر والسودان وارتريا ، بجانب رقعة ضيقه من الاردن وفلسطين المحتلة (ميناء العقبة وايالات) اللذان يطلان على خليج العقبة وهو امتداد للبحر الاحمر ، كما تطل على طرفه الجنوبي عند باب المندب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ومستعمرة الصومال الفرنسية .

وقد اطلق عليه اليونانيون اسم تريكيو ديسميوم
 ارثريوم (أي البحر الاحمر) Trichonesmium Erythnaeum
 وذلك لتكاثر الطحالب العائمة على سطحه والتي تعكس
 على صفة الماء لوناً أحمر . وقد عرف عند الجغرافيين
 العرب في العصور الوسطى باسم بحر القلزم .

ويعتبر البحر الاحمر جزء من الاخدود العظيم الذي
 يمتد من اواسط افريقيا الى الاردن وبحر الميت والذي
 تشكل بفعل البراكين في عصور سحيقة مما كسر
 الشعب المرجانية في شواطئه وبخاصة الشمالية منها
 وقلن عدد المراسي الصالحة للملاحة . وامام الشاطئ
 الارترى توجد اكثراً من ١٢٠ جزيرة معظمها غير مأهولة
 وبركانية التكوين وأهمها جزر دھلک . وفي شاطئ
 اليمن تقع جزء كمان وحانش كبير وحانش صغير .
 وذو قار وميون وغيرها .

وتبلغ الملوحة فيه درجة عالية لانعدام انهار تصب في
 مياهه مع ارتفاع درجة بخار الماء مما جعل صناعة الملح
 ناجحة وبخاصة في الشواطئ الارترية . ويعتقد
 العلماء وجود ثروات معدنية ضخمة في جوفه خصوصاً
 الغاز الطبيعي والبترول وال الحديد والذهب وغيرها مما
 دفع بعض الدول الواقعة على شواطئه كال سعودية
 والسودان للدعوة الى مؤتمرات لبحث مصير تلك
 الثروات واجراء الدراسات والاتفاques بشأنها .

وأهم الموانئ الواقعة في البحر الاحمر هي السويس وغردقه في مصر ، بورتسودان وسواكن وعقيق في السودان ، مصوع وعصب في ارتريا ، مخاء ، والحديدة في اليمن ، جدة وينبع ورابق وجيزان في السعودية .
ومع أن معظم شواطئ البحر الاحمر قاحلة وقليلة السكان الا ان مجموع سكان البلاد الواقعة في حوضه باستثناء الاطراف الشمالية والجنوبية لا يقل عن ٧٠ مليون نسمة (مصر والسودان ، وارتريا ، اليمن والسعودية) .

نبذة تاريخية :

ظل البحر الاحمر ، على مدى العصور ، عاملا فعالا لربط البلاد المحيطة به بعضها البعض . كان طريقة للملاحة بينها ووسيلة تسهل التبادل التجاري ، فانتفع كل بلد بما يوجد لدى الآخر ، وساعد ذلك على ازدهار الحالة . وحينما تقدمت الملاحة وبدأت المواصلات مع الهند والصين وبقية بلاد الشرق الاقصى زادت قيمة هذا البحر ، اذ ان دوره لم يقتصر على توصيل تجارة ومنتجات هذه المناطق الى بلاد الشرق الادنى فحسب ، بل أصبح هو الممر التجاري لتمويل العالم الاوربي ، بكل ما يتزمه من هذه التجارة وتلك المنتجات، وأثر ذلك بالتالي على بلاد الشرق الادنى واهالي هذه

المنطقة الذين جنوا ثروات طائلة من العمل في هذه التجارة ، ومن فرضهم الضرائب عليها عند مرورها في ارضهم ، ظهر الازدهار في هذه المنطقة وأثر ذلك وبالتالي في العلوم والفنون والآداب .

ولكن الزمن دار دورته وقامت حركة الاستكشافات البحرية في غرب اوربا ، ونجحت هذه الحركة في العثور على طريق رأس الرجاء الصالح ، مما سلب منطقة الشرق الاوسط أهميتها وثروتها نتيجة توقف سريان التجارة العالمية في البحر الاحمر .

البحر الاحمر في العصور القديمة

ربما كان المصريون القدماء هم أول من سافر على البحر الاحمر ل حاجتهم الى شواطئ ارتريا وبلاد الصومال وجنوب الجزيرة العربية وخصوصاً للحصول على البخور والعنبر وبعض الاكتشاف اللازم للمعابد وللحياة الدينية ، فاتخذوا البحر الاحمر طريقاً لمواصلاتهم مع تلك البلاد . ويذكر التاريخ ان ساحر عـ - من ملوك الاسرة الخامسة - قد أنشأ مواصلات بحرية مع بلاد الصومال رأساً وجلب منها المر والذهب والفضة . ولقد قامت الملكة حتشبسوت برحلة الى بلاد الصومال كما تبين آثار معابدها وحفرت ترعة

توصيل بين النيل والبحر الاحمر . وقد اهتم الفراعنة بحفر الآبار واقامة الحاميات على طول الطريق المؤدي الى البحر ، وساعد ذلك على ازدهار المحطات التي كانت تمون القواقل والبعثات في طريقها لهذا البحر .

وبعد فتح الاسكندر الاكبر لمصر عمل حلفاؤه من البطالسه على ضم ملحقات مصر ، وسعوا الى السيطرة على الطرق التجارية ، فألتقوها الى طرق التجارة الوافدة من افريقيا وببلاد العرب والهند وحاولوا تركيزها في مصر .

وأنشأ بطليموس الثاني عدداً من الموانئ في البحر الاحمر أهمها « عدوليس » أو « عزولى » كما يسميهما الاهالي ولا تزال خرائطها موجودة الى الان بالقرب من مصوع في ارتريا ، ووصلت سفن البطالمة حتى رأس جاردا فوی بالصومال . وكانت تجارة الشرق تنقل من عدن الى السفن المصرية التي تواصل ابحارها بهسا شمالاً ، تمهدنا لتوزيعها على بقية بلاد العالم المعروفة في ذلك الوقت .

وقد وصف رحال يوناني حالة الازدهار التجاري في القرن الاول الميلادي بين عدوليس وبين بلدان العالم المعروفة عندئذ فيقول في كتابه « الكشاف البحري » . (THE PRYPLUS OF THE ERTHRABAN SEA)

« كان في عد وليس مجتمع منظم ازدهر في هذه المدينة الكبيرة ذات المباني الجميلة والمعابد والحمامات والشوارع الواسعة ، ويعجب المؤلف - حسب وصف المؤرخ البريطاني - باذل دافيدسون في كتابه « افريقي تحت أضواء جديدة » لكثره السفن العربية على الساحل الارتري ويشيد بقدرة العرب على العيش مع الاهلين ، يتزاوجون فتحافظ الانساب ولا يجد الخصم سبيلا بينهم وبين القوم ، تجيء سفنهم من الجزيرة العربية ومن كل صوب في المحيط الهندي بالعنجر والرماح والزجاج ، وتقلع تحمل العاج وقرون الخرتيت وجلود السلحفاة ، ورأى الرحالة الافريقي في عدليس في القرن الاول الميلادي عيشا رافها آمنا بعضه من بعض . على أن سكان جنوب الجزيرة العربية الذين اكتشفوا الملاحة البحرية منذ عهد قديم يعود لاكثر من ثلاثة آلاف عام لم يكونوا أقل تأثيرا على سير التجارة وازدهارها في هذه المنطقة من المصريين . بل أن بعض المؤرخين يعتقدون أن قدماء المصريين هم من أصول سامية نزلت من جنوب الجزيرة العربية عبر باب المندب الذي كان فيما يقال ممرا بريا قبل ان يتفتق بفعل البراكين .

والمعروف تاريخيا ان سكان مملكة « أكسوم » الحبشية التي نشأت قبل الميلاد في هضبة ارتريا ،

والتجrai ، انما كانوا من نازحي اليمن في عهود دولة سبا وحمير وبخاصة بعد أن دمرت السيل سد « مأرب » المشهور . ونقل النازحون حضارتهم الى الشاطئ الغربي من البحر الاحمر ونظموا الزراعة على شكل مدرجات في سفوح الجبال على غرار نظام الزراعة في وطنهم الاصلي بهضبة اليمن الخضراء . وكانت أكسوم حاضرة مملكتهم ، ولا تزال المسالات المشهورة شاهدة على عظم حضارتها في مضمار البناء والتعمير . ويقول بعض الباحثين ان منطقة أكسوم كانت تابعة لملكة سبا وحمير وريدان في اليمن . وان لقب النجاشي او « نجوس » بالحبشية كان يعني « جامع الضرائب » وهو موعد ملك اليمن الى تلك البقاع لجمع الضرائب من النازحين ، الى ان استقل بالملك . وربما كان ذلك هو الاساس للدعوى الغربية للملك اثيوبيا بالانتساب الى بلقيس ملكة « سبا » التي ينسبونها الى أنفسهم وتروي أساطيرهم بحملها سفاحا « منيليك » الاول اي « ابن ملك » من سليمان الحكيم . . . وبعد ان رحلت اليه في « اورشليم » . . . وهي القصة المروية في الكتب السماوية المقدسة . ولا يزال التشابه قائما بين اللهجات السامية المنتشرة في ارتريا واثيوبيا (التجري ، التجرينية ، الامهرية ، الجراجي ، والهوري) وبين اللغة الحميرية القديمة وكان البحر الاحمر هو المعبر لهذا التمازج الحضاري والتزاوجات التاريخية بين سكان ضفتيه .

ولما غزا أبرهة الاشرم ، ملك العبشة ، اليمن لإنقاذ
نصارى نجران من أيدي اضطهاد اليهود الذين كانوا
يحرقونهم في الاخدود ، بناء على طلب الامبراطور
جستانيان ، عاهل الامبراطورية الرومانية البيزنطية ،
استأجر السفن من ميناء « عدوليس » وعبر بها البحر
الاحمر ثم استعمر اليمن أكثر من سبعين عاماً وعرف
بصاحب الفيل الذي حاول تدمير الكعبة وقد وردت
قصته في القرآن الكريم في سورة الفيل .

ولم يكن البحر الاحمر منذ عصر قديم بحر سلام
وت التجارة فحسب ، بل كان كذلك موقع صراع وتطاحن
بين أصحاب التجارة والسيطرة . فالتجارة والازدهار
الاقتصادي يتطلب حسب عرف الانسان الرماح والمدافع
لحمايتها .

و قبل أن يعبر الاحباش البحر الاحمر غزاة ، حاول
الرومان بدورهم السيطرة على طرق التجارة العالمية ،
والعمل على مرور اكبر كمية من هذه التجارة في
الاراضي الخاضعة لهم ، فأرسلوا الحملات لغزو اليمن
واباد اليمنيون احداها وكانت تتالف من عشرين الف
محارب قدموا من مصر .

ثم أمر الامبراطور اغسطس بتدمير عدن والتي كان
يسسيطر عليها الفرس ، عملاً على انتعاش تجارة مصر ،

فأصبحت مصر المكانة الاولى في التجارة بين الشرق والغرب ، رغمما عن استمرار بعض القواقل التي عملت على نقل التجارة الشرقية ، بين المخا والموانئ السورية ولقد فرض الرومان ضرائب باهظة على السفن العربية والهنديّة التي تلجم الى موانئ الاقاليم الخاضعة لهم في البحر الاحمر ، دفعا لاصحاب المتاجر الى استخدام سفن اقاليم خاضعة للرومان . وانتعشت التجارة في عدوليس في القرون الاولى للمسيحية خاصة بعد ان اعتنق ملك أكسوم - أزانا - المسيحية ، على ايدي قسيسين سوريين من صيدا - فرمنتيوس واوديسيوس - الذين باعهما أهل عدوليس الى الملك اثر غرق سفينتهما في شواطئ عدوليس بعد أن نشأ بينهم شجار بسبب الضرائب . وكانت عدوليس ترتبط بأواصر تجارية قوية مع أكسوم التي لم تبعد عنها سوى نحو ٤٠٠ كيلومترا في المرتفعات الجبلية كما كانت لها علاقات تجارية مماثلة مع مملكة « مروي » بالسودان .

وبسط الرومان سيطرتهم على ميناء عدوليس وجزر دھلک والمخا في اليمن وعيذاب في السودان وعدد من الموانئ الأخرى في البحر الاحمر واعادوا حفر الآبار عليها كما أعادوا حفر القناة الموصلة بينهما في عهد الامبراطور تراجان ، وعملوا على تقليل خطر القرصنة في البحر الاحمر والمحيط الهندي .

ثم انتهج البيزنطيون (١) سياسة تشجيع التجارة في البحر الاحمر تقليلا لارباح اعدائهم الفرس من التجارة التي تمر عبر اراضيهم . وكان البيزنطيون يتعاونون مع أحباش مملكة أكسوم ويشترون منهم بضائعهم عبر ميناء عدوليس . وفرت هذه التجارة بمصر وساعدت على استمرار رواج احوالها .

البحر الاحمر في العصور الاسلامية الاولى :

عندما ظهرت دولة العرب واستولت على مصر ، اقترح عمرو بن العاص حفر قناة تصل بين البحرين الاحمر والابيض ، ولكن الخليفة عمر بن الخطاب خشي من ان يتمكن الروم من استخدام هذه القناة في عملياتهم المغربية ضد العرب ولكن سرعان ما فطن الى أهمية اعادة وصل البحر الاحمر بالنيل خصوصا لارسال القمح الى الحجاز فأمر بإعادة حفر القناة القديمة التي عرفت باسم قناة أمير المؤمنين . واخذت تحادث الشرق الاقصى تسيرا عبر البحر الاحمر ومصر الى الاسكندرية . وفي القرن السادس الميلادي وبعد ظهور الاسلام في مكة المكرمة ، أشار الرسول الى بعض اصحابه بالهجرة الى الجبسة بعد أن تعرضوا لاذى قريش . فخرج من

(١) البيزنطيون نسبة الى بيزنطة .

مكة المكرمة في أول الامر أحد عشر رجلاً وقيل اثنا عشر ، أربعة منهم متزوجون ، معهم نساؤهم . وعلى رأس هؤلاء عثمان بن عفان وزوجته أم كلثوم ووجدوا ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملتاهم لقاء نصف دينار ورست بهم السفينتان في بلدة « معدو » في الشاطئ الارتري ومن ثم ساروا الى الحبشة حيث احسن التجاشي استقبالهم . ولم يكن هؤلاء الخمسة عشر الا طليعة الموكب اذ تتابع المهاجرين المسلمين بعد ذلك حتى اكتمل منهم عدد ليس بيسير في كتف التجاشي الصالح .

وهكذا فان البحر الاحمر لم يكن فقط معبراً لنزوح الشعوب ولا لتبادل التجارة فقط ، بل كان معبراً للعقائد والافكار ، اذ بهذه الهجرة بدأ الاسلام في تشييد جسوره مع افريقيا حتى انتشر في اجزاء كبيرة من شمال شرق افريقيا .

وفي القرن الثامن الميلادي احتل الخلفاء الامويون العرب جزر دهلك وتبعاً لذلك مدوا نفوذهم الى المنطقة الساحلية كلها وذلك اثر غارة شنها القرادنة من البر الارتري على جدة في عام 84 هـ وهددوا بتدمير مكة المكرمة . وأناط الامويون ومن بعدهم العباسيون على أنفسهم بمسؤولية حماية الطرق التجارية في البحر الاحمر واقاموا لهذه الغاية القلاع

في جزر دهلك وزودوها بالسفن العربية . وكان العرب يستعملون دهلك منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، منفى للمغضوبين عليهم من الدولة لبعدها وشدة حرارتها . ومن هنا قال عنها أحد الشعراء العرب وكان اسم حاكمها - مالك بن شداد - :

وأقيع بدهلك من بلدة فكل أهراً جلها هالك
كيفك وليل على أنها جحيم وخازنها مالك

كما قال شاعر آخر يشير إلى بعدها ويؤكد ملاحظته لحبيبتها : -

ولو سكنت خلف الشريا لزرتها ولو كانت بدهلك دورها

وفي الفترة الإسلامية الأولى بقيت معظم الشواطئ الغربية للبحر الأحمر تحت سطوة قبائل البعثة الرعوية بعد أن دمرت ميناء « عدوليس » ومحقت مملكة أكسوم بفعل توافد قبائل البعثة من جنوب مصر . وقد عقد أحد خلفاء الفاطميين اتفاقية مع مكنون بن عيد العزيز عظيم البعثة بموجبها اعترف له بالسلطة على مناطق البعثة إلى « جزيرة الريبع » أو ميناء مصوع العالية . ويقول أسبنسر ترمنجهام في كتابه « الإسلام في إثيوبيا » أ始建 قبائل البعثة خمسة ممالك مستقلة في غرب وشمال شرق ارتريا . وكانت « باضوع » أو « مصوع » ميناء بحرييا له اتصالات تجارية مع سلاطين

مصر . ويقول جسمان جسلو في كتابه غرائب اثيوبيا « ان مصوع والموانئ القليلة على البحر الاحمر اصبحت اسلامية في وقت مبكر ، وبعد تدمير « عدوليس » ازدهرت حضارة اسلامية في جزيرة دهلك بالقرب من مصوع في مستهل القرن الثامن » .

وعرفت الشواطئ الغربية للبحر الاحمر لدى المؤرخين العرب بأسماء مختلفة منها : « بلاد الطراز الاسلامي » « تطرز الساحل الافريقي بالدين الاسلامي بينما الداخل على غيره » كما يقول المسعودي في كتابه معجم البلدان » . وعرفت ايضاً ببلاد « الزيلع » ، و « بلاد الجبرته » واليها ينسب المؤرخ المصري المشهور عبد الرحمن الجبرتي .

البحر الاحمر في فترة الحروب الصليبية

وجاءت فترة الحروب الصليبية واستقرار الصليبيين في الشام ، وارادت اوروبا فعلاً ان تمنع عن مصر الموارد الاولية اللازمة للحرب ، وأصدر البابا وبعض الحكومات الاوروبية قوانين ومراسيم بمنع توريد هذه الاصناف لمصر ، غير انه لم يكن بمقدور الطرفين التضحية بالبالغ الوفيرة التي يربحونها من التجارة ، فتفاوضى الكثيرون عن تنفيذ المراسيم البابوية وطلت

التجارة عبر البحر الاحمر ومصر منتعشة حتى ان رسول فردرريك برباروسا قد أعلن دهشته عندما رأى النشاط التجاري في الاسكندرية سنة ١١٧٥ م .

ويقول الدكتور جلال يحيى في كتابه « البحر الاحمر والاستعمار » ان الهنود والعرب والمصريين كانوا يتعاونون في نقل التجارة المجتمعة في عدن الى ميناء عيذاب حيث يبدأ نقلها بعد ذلك على ظهور الجمال حتى (قوص) ثم يعاد شحنها في النيل حتى دمياط ورشيد ، وكان سلطان مصر يحرم على تجار الغرب الدخول الى البحر الاحمر خشية تامرهم مع الاحباش ضد بلاده .

والرسالة التي كتبتها الملكة « هيلنا » الحبشية تبرر هذه المخاوف ، فقد كتبت هذه الملكة في عام (١٥٠٨) رسالة الى الملك « عمانوويل » ملك البرتغال تعرض عليه استعدادها لتجهيز قوات برية كبيرة لتدمير ميناء عذاب والاستيلاء عليه ولكنها تقول انه « ليس لديها اسطول بحري » وانها تطلب منه مساعدتها باسطول ينقل جيوشها الى بيت المقدس بفلسطين تشارك في « تحريرها من ايدي الكفار » واعادتها الى « سلطان الصليب المقدس » . ومهما غلبت هذه الدعاوى باللبوس الدينية فان اطماع السيطرة على البحر الاحمر ظاهرة في محتويات الرسالة وهي تعكس

نزع ملوك اثيوبيا نحو التوسع في حوض البحر الاحمر .

وبعد نهاية الحرب الصليبية فقدت عيذاب اهميتها التجارية خصوصا بعد تجربة ميناء الطور الذي اصبح مركزا تسير القوافل صوب مصر والشام ، كما ان عدن فقدت هي الاخرى اهميتها السابقة ، وذلك لان امير اليمن حاول ان يمنع التجارة من المرور الى مصر ، وفكر الهنود في مصلحتهم فوجدوا ان سلطان مصر يتحكم في نهاية المرحلة فبدأوا يستخدمون جده لتفریغ بضائعهم بعد ان استولى عليها الملك الاشرف « بارسبارى » واخذت هذه التجارة تنقل بالقوافل عن طريق مكة والحجاز شمالا حتى مصر . او يعاد نقلها على سفن حربية حتى الطور .

وكما أسلفنا حصلت مصر والبنديقية على مكاسب كبيرة في الاشتغال في التجارة مع الشرق عبر البحر الاحمر وكان هذا من أهم الاسباب التي دفعت البرتغاليين الى محاولة العثور على طريق آخر يوصلهم الى ثروات الشرق ، وكانت حركة الاستكشافات الجغرافية قد نشطت ، وتمكن (بارتولوميو ديماز) من الوصول الى رأس الرجاء الصالح ، ثم وصل فاسكو داغاما الى كلكتا ، وأخيرا وصل كبرال بأسطوله الضخم

الى الهند بعد ثلاثة عشر عاما من الوصول الى رأس
الرجاء الصالح .

اصطدم البرتغاليون مع المصريين في مياه الهند ،
وحاول البرتغاليون قطع التجارة الهندية مع مصر ،
وتنبهت كل من مصر والبنديقية الى ذلك الخطر الجديد ،
خطر انتزاع التجارة الشرقية منهم ، وتحويلها الى
طريق رأس الرجاء الصالح والمحيط الاطلسي وتقدمت
البنديقية باقتراحاتها لتخفيف الرسوم على التجارة التي
تمر بمصر . وبمحض قناعة تصل البحر الاحمر بالبحر
الابيض ، ومحاولة اقناع امراء الهند بعدم التعامل مع
البرتغاليين حتى لا يضطروا للخضوع لهم في يوم من
الايات ، ولكن البنديقية رفضت القيام بذلك فعال في
هذا الصراع الاقتصادي العالمي اذ لم تكن ترغب في
ضم البرتغال الى ادعائها . وفي سنة ١٥٠٨ هزم
اسطول مصر الاسطول البرتغالي بقيادة الميدا بالقرب
من جزيرة ديو بالمحيط الهندي بعد ان عبر البحر
الاحمر ولكنه هزم في معركة اخرى في سنة ١٥٠٩ .

وتمكن البرتغاليون من الاستيلاء على جوا في الهند
ولكنهم فشلوا في الاستيلاء على عدن امام مقاومة
اليمنيين وارسل الغوري - سلطان مصر - حملة بحرية
الى اليمن لتقوية المراكز العربية فيها . ولكن هذه
الحملة عملت على الاستيلاء على مدن اليمن نفسها ،

وبينما هي منهمكة في هذه العمليات وصلت أنباء هزيمة الغوري وقتله وأحتلال العثمانيين لسوريا ومصر .

انتهى نشاط مصر ومشارييعها في البحر الاحمر ، وحلت محلها الدولة العثمانية التي استولت على الجزيرة العربية كلها .

وكان البرتغاليون قد سيطروا على موانئ البحر الاحمر الواقعة على الشاطئ الغربي وخليج عدن - سواكن ، مصوع ، زيلع ، بربرة . وحول القارierz الذي ترأس البعثة التبشيرية البرتغالية الى العيشة مسجد مصوع الى كنيسة في عام ١٥٤٠ . ونزل الجيش البرتغالي الذي جاء لنجددة ملك العيشة ضد فتوحات الامام احمد بن ابراهيم ، امير هرر ، في ميناء زولا الارتري ومن ثم توغل الى هضبة العيشة حيث شارك في هزيمة الامام .

ورأى العثمانيون في سيطرة البرتغاليين على المراكز الحساسة في طرق التجارة في البحر الاحمر والقريبة من الاماكن الاسلامية المقدسة في الحجاز خطرا على مصالحهم .

وكان البرتغاليون يعملون من خلال تحالفهم مع العيشة على تعزيز وجودهم العسكري والتجاري في

حوض البحر الاحمر وضمان استمرار تجارة اوروبا مع
الشرق عبر رأس الرجاء الصالح وابعادها عن مصر
والشام .

وأعد العثمانيون اسطولاً حربياً قاده سنان باشا
ونزل البرتغاليون أمام شواطئه مصوّع في عام ١٥٥٤
وهزم الاسطول البرتغالي الذي كان يقوده دون جوان
دي كاسترو . ثم صفووا الموضع البرتغالية على طول
امتداد شواطئ البحر الاحمر وبنوا بها القلاع . وفي
عام ١٥٥٧ احتل الاتراك العثمانيون ميناء مصوّع .
وتعاون أهل البلاد مع الاتراك ومع تجار كتلان المنافسين
للبرتغاليين والذين كانوا يبنون السفن التجارية في
ذيلع ببلاد الصومال وذلك من أجل طرد البرتغاليين
الذين اتسم حكمهم بالوحشية والتعصب .

على أن سيطرة البرتغاليين والامم الاوروبية الاخرى
على تجارة الشرق عبر رأس الرجاء الصالح أفقد البحر
الاحمر أهميته الاقتصادية كممر مائي دوني ومن ثم
تحولت السيطرة العثمانية الى سيادة اسمية وانحدرت
حركة التجارة والعمران في شواطئ البحر الاحمر
القاحلة الى أدنى مستوى خلال القرون الثلاثة التالية
حتى انتعشت من جديد بفتح قناة السويس في عام
١٨٦٩ .

وجاءت الحملة الفرنسية الى مصر في نهاية القرن الشامن عشر بقيادة نابليون بونابرت وفكرت في وصل مياه البحرين الاحمر والابيض عن طريق قناة مباشرة بينهما . وكانت فرنسا تسعى الى ضرب انجلترا في الهند والسيطرة بالتالي على تجارة الشرق الاقصى مع اوروبا . عندئذ عملت بريطانيا على طرد فرنسا من مصر وعلى توكيده سيطرتها على المحيط الهندي والبحر الاحمر عند عدن وبريم التي تعتبر المفاتيح الجنوبية للبحر الاحمر . وظل هذا العامل عاملا فعالا في تسيير السياسة البريطانية في مدى قرن ونصف قرن احتكارا وتحكما في طرق التجارة العالمية وفي من يعيشون على طول هذا الطريق ان لزم الامر .

صراع الاستعمار في حوض البحر الاحمر بعد فتح قناة السويس

كان حفر قناة السويس نقطة تحول هامة في تاريخ البحر الاحمر وتاريخ التجارة العالمية وتاريخ الاستعمار . وحاولت كل الدول الاستعمارية - فرنسا ، ايطاليا ، بريطانيا وغيرها - ان تحصل على محطات بحرية على طريق الموانئ الجديد بين الشرق والغرب ، محطات تقوم بتخزين الفحم والمؤن والتموين فيها لسد حاجة

سفنها . وتحولت هذه المحطات الى قواعد هامة ، وكانت هذه المحطات هي عدن الانجليزية وابونغ الفرنسية وعصب الايطالية والتي كانت نواة الاستعمار الأوروبي ومراكيزه في البحر الاحمر .

سيطرت انجلترا على عدن في عام ١٨٣٩ بعد معركة غير متكافئة مع سكانها ورأت فيها قلعة تسسيطر على المحيط الهندي ونقطة ارتكاز في طريق الملاحة صوب البحر الابيض المتوسط ، غلاوة على كونها مركزا هاما للتوسيع في جنوب الجزيرة العربية وفي بلاد الصومال وفي شرق افريقيا ، خصوصا وأن انجلترا كان يمكنها من هذه القاعدة ان تتعامل مع رؤساء الحبشة وان تتخذ من بلادهم المرتفعة مكانا تشرف منه على وادي النيل ان تأزم الامر . وهذا ما حدث عندما شنت حملتها المشهورة بقيادة لورد نابير الذي جعل من عدن موقع تموينه وزحف عبر ميناء زولا الارتري الى هضبة الحبشة وافرج عن القنصل البريطاني المعقول بعد ان قتل ملك الحبشة - تيودور - وهزم جيشه في العام الذي فتحت فيه قناة السويس ١٨٦٩ .

ومن عدن ارسلت انجلترا مبعوثها الى ملك « شوا » - احدى مقاطعات الحبشة - والذي عقد اتفاقية معه في عام ١٨٤١ ونصت على عدم فرض اي رسوم تزيد على ٥٪ من قيمة البضائع الانجليزية التي تدخل الحبشة

وتعهد فيها ملك شوا بأبقاء طرق التجارة مفتوحة
وتسهيل سفر الانجليز في المنطقة .

وفي عام ١٨٨٢ تم لانجلترا السيطرة على ميناء بربرة
الصومالي الذي كانت به حامية مصرية وكان يخضع
اسرياً للدولة العثمانية وذلك بعد ان ارسلت السلطات
البريطانية في عدن الميجر هنتر مع خمسين جندىا
كحرس شخصي ، وأشتريت تركيا على الاختلال
البريطاني ورثض البشا المصري اجلاء قواته من الحامية
ولكن انجلترا رفضت المطالب التركية وأجلت الحامية
المصرية من بربرة و زيلع و عملت على تأسيس مستعمرة
لها اطلق عليها اسم « الصومال البريطاني » في الجزء
المقابل لعدن . ولقد ثار شعب الصومال ضد المحتضب
البريطاني بقيادة المجاهد الكبير السيد محمد عبد الله
حسن ، وواصل جهاده مدة عشرين عاماً ، أذاقة فيها
هزارة الهزيمة أكثر من مرة . ولكن الامبراطورية
البريطانية بالتوافق مع الحبشة وايطاليا تمكنت بعد
الحرب العالمية الثانية من وضع قوات كبيرة في هذا
الميدان ، مما تسبب في اضعاف المقاومة الأهلية ثم
القضاء على قواتها العسكرية .

وكما توسيفت انجلترا اقليمياً مستندة الى عدن ،
توسعت فرنسا بدورها ابتداء من ابوغزال بالساحل
المقابل لعدن لتكون قاعدة عملياتها المقبلة في هذه

المنطقة ، فأرسلت احدى السفن الحربية وأمرتها بالبقاء في هذا الميناء ، وانزلت في هذه المدينة بعض الجنود كحامية على الساحل ، وكان قائدها يتمتع بسلطات المقيم السياسي ، أي بنفس السلطات التي يتمتع بها الممثل البريطاني في عدن . ووّقعت الحكومة الفرنسية على اتفاق ، مع احدى الشركات ، لاقامة مخزن للفحم في ابوخ ، وعملت من ناحية اخرى على اصدار اوامرها للسفن الفرنسية التي تمر في بوغاز باب المندب ، أن تتزود بالفحم من هذه القاعدة الجديدة .

وقد اعتمدت فرنسا في تلك المنطقة على (لاجارد) الذي اختارته لمنصب « قمندان » « أبوخ » وكان نشيطا . ولقد نفت هذا الموظف نظر دولته الى ضرورة الاستيلاء على ذلك الجزء من الساحل الذي يسمح لقيام مستعمرة فرنسية ، والى ضرورة الاتصال بالداخل ، ومحاولة الاستفادة من التجارة في بلاد « هرروشوا » . وكان من الطبيعي أن يتوجه نظره في أول الامر ، عند تاجورة التي تبدأ معها طرق القوافل في الداخل ، فبدأ بالاتصال بالرؤساء على طول الساحل ولكنه اضطر الى عدم الذهاب الى تاجورة قبل ان يخرج المصريون منها ، فأرسل احدى السفن الى « رئيس علي » وهو الميناء الصيفي لتاجورة في يوم ٢٧ من ابريل

١٨٨٤ واستغل الفرنسيون في هذه العملية ابراهيم محمد ، وزير تاجورة الذي صحبه في هذه الرحلة والذي لم يكن يرغب في ترك الانجليز يستولون على بلاده بعد خروج المصريين . وطاف الفرنسيون في هذه المنطقة ، واقتربوا من المكان الذي يرفرف عليه العلم المصري ، وابلغوا شيخ الناحية ان مينا « رأس علي » قد أصبح ملكا لهم ، وانهم سيعودون بعد ايام للاستيلاء عليه . وبطبيعة الحال اسرع الموظفون المصريون في هذه الناحية بالاتصال بحكومة مصر وطلبوا ارسال امدادات اليهم .

واستغل الفرنسيون المشايخ والرؤساء المحليين فعقد (لا جارد) معاہدة مع السلطان احمد ، سلطان تاجورة في ١٨٨٤/٩/٢١ ، وأعطت هذه المعاہدة لفرنسا الحماية على الاراضي الممتدة من « رأس علي » حتى « قبة الغراب » وتعهد السلطان بعدم ابرام أي معاہدة أو اتفاقية مع دولة اجنبية بغير موافقة قائده أبوخ الفرنسي وتقدم فرنسا بالمقابل مائة ريال للسلطان شهريا وثمانين ريالا لوزيره .

وخشيت السلطات البريطانية في القاهرة من وقوع حدام مسلح مع الفرنسيين في تاجورة وأشارت يانسحاب المصريين منها وابلغوا ذلك الى محافظتها على آن أمر صادر من الحكومة الخديوية . ونبع الدناكل

في اخراج العامية الصغيرة من تاجورة الى زيلع وسيطر
السلطان على المدينة وجاء الفرنسيون واعلنوا ضمها
رسمياً وحيوها باطلاق المدافع .

ولم تمانع انجلترا في ادخال جيبوتي داخل منطقة
النفوذ الفرنسي ، اذ انها كانت مهتمة للتجارة مع
داخل القارة اكثر من اهميتها بالنسبة لتمويل عدن .
وشعرت انجلترا بأن فرنسا تحتاج اليها مثل احتياجها
هي الى زيمع والبربرة . فتبادل السفير الفرنسي في
لندن مع وزير الخارجية البريطانية في يومي ٢ و ٨
من فبراير سنة ١٨٨٨ خطابين بالاتفاق المبرم من
الدولتين بخصوص مصالحهما في بلاد الصومال ،
ونجحت بذلك كل من فرنسا وانجلترا في الاستناد الى
قواعدهما البحرية للتوسيع الاستعماري على طريق
الملاحة البحرية عبر البحر الاحمر . واعلنت جيبوتي
عاصمة لما سمي بالصومال الفرنسي . ولا تزال فرنسا
تتمسك بهذه المستعمرة في الوقت الذي ول فيه عهد
الاستعمار عن العالم وذلك حفاظاً على مصالحها
الاستراتيجية والاقتصادية ورعاية للمصالح الافريقية
وحيث ترتبط جيبوتي بأديس أبابا بخط سكة حديد ،
مضى على إنشائه نحو سبعين عاماً ويحمل نحو نصف
حركة التجارة الافريقية على الرغم من مطالبة الصوماليين
المشروعه بالاستقلال الوطني مستغلة الخلافات القبلية

بين قبائل عيسى وعفر ، حتى انها غيرت تسمية المنطقة
الى اقليم « عفر وعيسى » .

الخديوية المصرية في ارتريا

عندما قامت الثورة الوهابية وتعرضت للضياع حقوق السيادة العثمانية على الحجاز ، كلف الباب العالي واليه في مصر بأخmad هذه الثورة ، وجين انتصر ابراهيم بن محمد علي على الوهابيين عينه السلطان محمود الثاني على باشوية جدة في يوليو ١٨٢٠ مكافأة له على خدماته . وعلى ذلك فقد أصبح مصر حينئذ في ساحل البحر الاحمر الغربي نوع من السيادة ولكن هذه السيادة كانت غير مباشرة فضلا عن انها كانت سيادة اسيمية .

وعندما أكرهت حوادث الشام (الحرب السورية) وتدخل الدول الاوربية لتسوية المسألة المصرية العثمانية ، باشوية مصر على اخلاء شبه جزيرة العرب واستقدام قواتها منها عام ١٨٤٠ ، استعاد الباب العالي نفوذه المباشر على الاقاليم المطلة على البحر الاحمر في شاطئيه الاسيوى والافريقي ، والتي كانت تحتلها القوات المصرية . وعلى ذلك فقد توطدت سلطة السلطان العثماني من جديد في اقليم الحجاز .

واستعادت تركيا عن طريق الوالي العثماني في الحجاز
سيادتها المباشرة على سواكن ومصوع على شاطئ
البحر الاحمر الغربي .

ولكن سرعان ما عادت الحكومة الخديوية بمطالبتها
بحقوق السيادة على ساحل البحر الاحمر الغربي .
وبعد مساعي طويلة لدى الباب العالي وافق الباب
العالى في ١٨٦٥/٥/٣ على انتزاع ميناء مصوع من
اشراف حكومة جدة ووضعه تحت حكم والي مصر
مباشرة . وفي ١٨٦٥/٥/٧ تنازل مصر عن ميناء سواكن
ايضا . وفي ١٩٦٥/٥/١١ أصدر الباب العالي فرمانا
من بasha مصر قائمقامي مصوع وسواكن وملحقاتهما .
وتوجه اسماعيل صادق باشا الى مصوع لاستلامها
وعين حسن رأفت بك محافظا لها . وفي ١٨٦٦/٤/٣٠
جرى استلام مصوع وسط احتفال قرئ فيه فرمان
التنازل في حضور سلطات ووجهاء المدينة .
وفي مارس ١٨٦٦ ابتعات الحكومة المصرية من شركة
اخوان « باشتري » حقوق ملكية اقليم « عد » لقاء مبلغ
٥٨٣٤ جنيها وذلك حتى يكون مصر مطلق التصرف
تماما على ساحل البحر الاحمر الغربي .

وكان الاسطول المصري في البحر الاحمر بقيادة جمائي
بك يتالف من ثمانى سفن وكان لهذا الاسطول محطات
مهيئة لاستقباله وتزويده ب حاجاته على طول الساحل

الافريقي حتى أقصى نقطة في شرق خليج عدن .

نزول الظليان في عصب وتأسيس مستعمرة ارتريا

كان المصريون يسيطرون على ساحل البحر الاحمر الغربي عندما شرع الظليان يسلكون مسلك الانجليز والفرنسيين ، فأبتكعوا عصب في اواخر عام ١٨٦٩ بواسطة المبشر الاب سايبتو من السلطان ابراهيم .

وأثار نشاط الظليان احتجاجات الحكومة المصرية ضدتهم ، وكانت الحكومة الايطالية تأمل بعد افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية أن تؤسس محطة تجارية على ساحل خليج عصب وتساعد على زيادة التجارة الايطالية بين الشرق والغرب ، عبر البحر الاحمر وقناة السويس . وأبلغ شريف باشا وزير الخارجية المصرية في ٢٧ مايو سنة ١٨٧٠ دى مارتينو القنصل الايطالي أن الخديوي في غاية الالم والدهشة من احتلال الظليان عصب ، وانه قد أمره بالاحتجاج على هذا التعدي الواضح على سلامة الاراضي المصرية .

بعجانب الرغبة الاكيدة من جانب اصحاب رؤوس الاموال الظليان في البحث عن مناطق جديدة لاستثمار أموالهم ، فإن اسباب امنية كانت تدفع الحكومة

الايطالية البحث عن مستعمرات فيما وراء البحار . فقد كانت اقاليم الجنوبيه من ايطاليا وبسبب حكم الكهنة السنيء وعسف أصحاب الارضي الاقطاعيين مرتعا لجمعيات قطاع الطرق وال مجرمين مما حفز سياسة ايطاليا في السنتين من القرن التاسع عشر الى محاولة البحث عن مستعمرات فيما وراء البحار حتى يتخدوها منفى لهؤلاء المجرمين . وتفاوضت ايطاليا مع البرتغال ثم مع الدنمارك والبلجيكي وغيرها لابتياع بعض الجزر في المحيط الاطلسي والهندي وغيرها ولكن لم تجرب نجاحا يذكر . كما فشلت في الحصول على مستعمرات في شمال افريقيا .

وعلى ذلك شرع السينيور مانشيني وزير الخارجية الايطالية في توجيه اهتمامه الى الساحل الغربي للبحر الاحمر ، وقال حينئذ كلمته المشهورة « مفاتيح البحر الابيض توجد في البحر الاحمر » .

وقد شجع الاب « جيزبي سابيتو » السينيور « رافائيلي روباتينو » مدير شركة « روباتينو » للملاحة - وهي من اكبر شركات الملاحة في ايطاليا حينئذ - على انشاء نقط ملاحة بين البنديقه وموانئ الهند والصين عن طريق قناة السويس والبحر الاحمر وان تبنيسيء في البحر الاحمر محطة تزويد الوقود . ووافقت الحكومة الايطالية على تكليف الاب سابيتو بهذه المهمة وارسلت

معه الامير البحري «أكتون» لمرافقته في انجاز المهمة
المكلف بها .

وفي ١٥ نوفمبر ١٨٦٩ عقد المبشر سابيتو مع شيخي
قبيلة «أدا علي» السلطان حسن بن أحمد والسلطان
ابراهيم بن احمد اتفاقاً اشتري بمقتضاه هذا المبشر
الايطالى منطقة على ساحل البحر الاحمر الغربى بين
جهل جانجا ورأس لوما وذلك بمبلغ ١٥٠٠٠ ريال
«ماري تريزا» وذلك لاستخدامها كمكان تعتمى فيه
سفن شركة روباتينو وتتزود بالفحم في رحلتها الى
المهد حسب نص الاتفاقية .

وأبرم في مارس ١٨٧٠ اتفاقاً آخر مع السلطان عبد
الله شحيم - وكيل سلطان رحيتا في عصب والشيخ
برهان محمد والسلطان حسن بن احمد والسلطان
ابراهيم بن احمد ، حصل بموجبه على جانجا . وفي
اليوم الثالث لتوقيع هذا الاتفاق (اي في ١٣ مارس
١٨٧٠) رفع سابيتو الراية الايطالية على هذه المنطقة
من ساحل خليج عصب . وبذلك رفرف العلم الايطالى
لأول مرة على شاطئ البحر الاحمر الغربى . وانتهز
سابيتو فرصة وجوده في عصب ، فشيد في هذه القرية
دارا صغيرة بسيطة من الخشب لاستخدامها بمثابة
مكتب لشركة روباتينو .

وعندما علم السلطان أبو بكر ابراهيم ، حاكم زيلع ،
بأمر هاتين الاتفاقيتين اللتين عقدهما الايطاليون
«النصارى» مع سلاطين عصب ، احتاج على ذلك
وقال ان هذه المنطقة تابعة للدولة الاسلامية العثمانية .
وكان مفهوم السكان بالنسبة لتركيا بأنها دولة تمثل
كل المسلمين ولم يشعروا أذاءاحتلالها بالعداء .

وترتب على ازدياد وتغلل النفوذ الاوربي في شئون
الادارة المصرية الداخلية انشاء نوع من «الوصاية
الدولية» على مصر . ووسط الاحتتجاجات المصرية
استمرت ايطاليا في الاستيلاء على الحاميات المصرية في
بيلول وبرغسولي وعدن حتى توجته بأحتلال مصوع
في ٥ فبراير ١٨٨٥ وذلك بتشجيع من بريطانيا التي
كانت تخشى بدرجة عظيمة وقوع موانئ هذا
الساحل في قبضة المهديين . وكانت ترى في توسيع
ايطاليا رقعة املاكها على حساب الاراضي المصرية
بساحل البحر الاحمر عملا مساعد لبريطانيا في محاولة
القضاء على ثورة المهديين من ناحية وكبح جماح
الفرنسيين الذين كانوا ي يريدون بسط نفوذهم في شرق
افريقيا من ناحية اخرى . وجرى الاتصال بين الدولتين
عن طريق قنصليهما في القاهرة - السيدور دى مارتينو
واللورد كروم .

واستغرقت عملية نزول القوات الايطالية في مصوع

نحو اربعة ساعات (من الثالثة بعد الظهر الى السابعة مساء) . وقامت القوات الايطالية على الفور باحتلال المراكز الاستراتيجية بالجزيرة ، ورفع العلم الايطالي . وصح عزم الجنرال جيني على التخلص من حامية مصوع المصرية وقادتها عزت بك بغية احتلال ايطاليا العسكري لهذه المنطقة . فارغم فعلا في ديسمبر ١٨٨٥ بقايا الحامية المصرية على مغادرة مصوع الى مصر .

في ١٠ أبريل ١٨٨٥ وصلت الباحرة « اسبلو راتورى » الى ارافلى حيث نزل الجنود الايطاليون على الفور الى الميناء ورفعوا الراية الايطالية في قلعة « ارافلى » بالرغم من احتجاج الضابط المصري بخيت عثمان قائد الحامية الذي طرد مع حاميته في اليوم التالي . وزحفت القوات البرية نحو الجنوب من مصوع فأحتلت بالإضافة الى ارافلى - حرقيقو ، وزولا ، ومعدو ، وعد وجزر هواكل .

وفي يوم ٢ يونيو ١٨٨٩ احتلت القوات الايطالية بقيادة الماجور دي مايو مدينة كرن ورفعت عليها العلم الايطالي . وفي ٣ أغسطس ١٨٨٩ ايضا تمكّن الماجور « دي مايو » من احتلال أسمرا واستولى على قرع فيه ١٧ أغسطس ١٨٨٩ كما احتل ايضاً مساحة كبيرة من اقليم سرای وأكلی قوزاى .

وفي أول يناير ١٨٩٠ أصدر الملك همبرت الاول ملك ايطاليا مرسوماً ملكياً بتأسيس مستعمرة ارتريا بعد توحيد الاقاليم المختلفة على البحر الاحمر والمرتفعات التي احتلها الجيش الايطالي . وقد عينت الحكومة الايطالية الجنرال (اوريرو) أول حاكم عام على ارتريا .

وقد مكنت مقاومة الشعب المتفرقة والتي استمرت لنحو ١٥ عاماً بمنتهى القسوة تحت قانون عرفى اشتهر باسم قانون « التهدئة والامن » . وملأ ايطاليا سجنون جزيرة نغرة بالمعتقلين من زعماء الحركة الوطنية الذين مات معظمهم بأمراض الملاريا وسوء التغذية .

أما الموانئ السودانية - سواكن وبورتسودان - فقد وقعت تحت الاحتلال البريطاني بهزيمة المهديين .

وفشلت المحاولات التي بذلها الامبراطور الائيوبي المتعصب - يوحنا الرابع - للاستيلاء على مصوع وكرن بعد أن شغلت بريطانيا عن وعدها له بهذه المناطق نظير اشتراكه في حربها الاستعمارية ضد المهدية في السودان . وقتل يوحنا بأيدي المهديين في معركة « متما » على الحدود السودانية في عام ١٨٨٩ .

الوضع في حوض البحر الاحمر بعد الحرب العالمية الثانية

انه بروز دور الحركات الوطنية في النصف الاول من القرن العشرين والمناهضة للاستعمار ، والتأثيرات التي احدثتها الحرب العالمية الثانية على موازين القوى الدولية حدثت تطورات هامة فياقطars المستعمرة الواقعة في حوض البحر الاحمر ، كما هو الحال بالنسبة لشعوب قاراتي آسيا وافريقيا .

فتشهدت مصر من استعادة سيادتها الوطنية ومن فرض هيمنتها على قناة السويس بعد ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، ومكنت السودان من التخلص من الاستعمار البريطاني ونيل استقلاله الوطني الكامل . وتخليص الصومال وجنوب اليمن من الاستعمار البريطاني والايطالي ونشأت جمهوريتين مستقلتين - جمهورية الصومال الديمقراطية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

وتزيينت شواطئ البحر الاحمر الشرقية والغربية بعدد من رايات الاستقلال .

ومع ذلك فأن ثلاثة اقطار صغيرة تحتل أجزاء هامة من البحر الاحمر وخليجها قد لاقت مصيرًا مؤلمًا نتيجة للمخططات الامبرialisية العدوانية . ففي خليج العقبة وقفت فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني وفق أكبر مؤامرة عرفها التاريخ دبرتها بريطانيا وامريكا وغيرهما

من دول المعسكر الاستعماري وحيث طرد الشعب العربي الفلسطيني من أرضه ليحل محله شعب آخر نزح من مختلف أنحاء العالم بدعوى إيجاد وطن قومي لليهود . ومن ثم كانت اطلاقة الكيان الصهيوني المعروف بأسرائيل على خليج العقبة عبر ميناء إيلات منسجما مع المطامع الامبرالية الهدافة إلى التسلط على حوض البحر الأحمر ومقدرات العالم العربي .

وفي نفس الوقت أوجد الاستعمار الغربي لهذا الكيان الصهيوني الجديد هنفذا له إلى إفريقيا عبر إرتريا . فلم يكن المصير المؤلم التي آلت إليه إرتريا - رغم جهاد شعبها البطولي من أجل الاستقلال الوطني في الأيام التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية إلا نتيجة مؤامرة استعمارية دبرتها بريطانيا التي كانت تدير إرتريا (١٩٤١ - ١٩٥٢) بالنيابة عن دول الحلفاء بالاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية التي فرضت الاتحاد الفدرالي بين إرتريا وإثيوبيا عن طريق الأمم المتحدة لصالح الأخيرة . وكان هدف أمريكا من ذلك تأميم بن مصالحها الاستراتيجية في حوض البحر الأحمر عبر إثيوبيا الموالية للغرب بصفة تقليدية وبحكم نظام حكمها الرجعي القائم على تحالف العائلة المالكة والأقطاع والكنيسة .

وهكذا فإن إرتريا وبعد أن ذاقت مرار الاستعمار

الإيطالي «البريطاني لمدة ٧٠ عاماً وضعت تحت سيطرة استعمار أشد وطأة ، هو الاستعمار الإثيوبي المتخلف الذي تدعمه أميركا وأسرائيل سياسياً وعسكرياً . وتم ذلك وفق استراتيجية غربية استهدفت التحكم في البحر الأحمر . وقد قال السير كينيدي ترافاسكس ، السكرتير السياسي للادارة البريطانية في ارتريا حينئذ في كتابه (ارتريا - مستعمرة في مرحلة الانتقال) ان الإثيوبيين لجأوا إلى العنف ضد دعاة الاستقلال في ارتريا بعد ان ادركوا ان العنف في فلسطين حقق للمليود ما كان يستحيل تحقيقه بالطرق السلمية » .

والحقيقة أن هذا العنف المخطط كان يتم بتأييد ومبركة وحماية بريطانيا التي كانت تساعد العصابات الإثيوبية المجرمة عبر الحدود بشتى الوسائل في أعوام ٤٨ - ٥٠ - ١٩٥١ في أعمالها التخريبية والتي بلغت ذروتها باغتيال الشهيد عبد القادر محمد صالح كبيري ، زعيم حزب الرابطة الإسلامية الارترية وحز رؤوس العشرات من انصار حزب الاستقلال أمام مرأى من ذويهم لبث الرعب في نفوس السكان تماماً كما كانت تفعل العصابات الصهيونية في نفس الفترة في فلسطين .

مخططات صهيونية امبريالية متكاملة استهانفت

السيطرة على البحر الاحمر عبر فلسطين وخليج العقبة وارقريا .

اما القطر الثالث فهو القطر المعروف بالصومال الفرنسي وعاصمته جيبوتي ولا يزال يخضع للاستعمار الفرنسي المتواطئ مع الاستعمار الاثيوبي رغم كفاح ابنائه البطولي من اجل حق تقرير المصير ونيل الاستقلال الوطني وذلك بالنظر الى موقعه الجغرافي الاستراتيجي على المدخل الجنوبي للبحر الاحمر .

اذا ورغم ارتفاع اعلام الاستقلال في عدد من الدول في حوض البحر الاحمر ، الا ان هذا البحر لا يزال يخضع للمخططات الامبرialisية المعادية لاماني شعوب تلك المنطقة .

الاستراتيجية الامريكية في اوقيريا والبحر الاحمر

منذ اعلان الاتحاد الفدرالي رسميا (١٩٥٢) اعطت اثيوبيا الشهرين فورا لامريكا نظرا ل موقفها الى جانبها في التآمر ضد الشخصية الارترية في صورة قواعد وتسهيلات عسكرية في كل الارض والجزر الارترية ، كما اعطت نفس التسهيلات والقواعد للعدو الصهيوني الذي يسيطر اليوم من خلال شركاته ومؤسساته على معظم الاقتصاد الارترى .

ونحن لا نستطيع ان نلم تماما بحقيقة الموقف الامريكي في ارتريا بعيدا عن المصالح النفطية والاستراتيجية ، خاصة بعد ان اصبح بترول الشرق الاوسط مصدر الطاقة الاساسي في العالم . وبعد خروج امريكا من عزلتها وانغماسها في أتون الحرب العالمية الثانية كانت احتكاراتها النفطية قد بدأت تمسح المنطقة - شرق السويس وتخوض حربا سرية ضد الاحتكارات بالوجود البريطاني المسيطر . واستطاعت امريكا ان تنفرد بنفط السعودية كمقدمة لزحفها الشامل في كل جزيرة العرب ولكنها لم تكن ل تستطيع منافسة الوجود البريطاني العسكري شرق السويس ، سوى انها باحساسها الاستعماري الجديد ادركت ان تحركها غرب السويس في ليبيا حيث حصلت على قاعدة هويس وتحركها جنوب السويس حيث حصلت على قاعدة (راديو مارينا) التي أصبحت تعرف فيما بعد بقاعدة (كانيو استيشن) بأرتريا ، ادركت امريكا ان تمركزها غرب وجنوب السويس يوفر لها منطلقا استراتيجيا فيما بعد شرقي السويس . ولما كانت ارتريا بموقعها جنوب السويس وبمواجهتها الساحلية الاطولية لمنطقة شرق السويس (جزيرة العرب) تمثل عصب الانطلاق شرق السويس ، فقد استثمرت امريكا بتواجدها هناك ، ومن ثم كان عليها لاستدامة وجودها في ارتريا أن تضمن ضمها الى اثيوبيا ايا كان الثمن ،

وكانت امريكا في تقديرها ذلك تنطلق من واقع مادي ملموس : -

١ - الضعف الذي أصاب الوجود البريطاني جنوب السويس حيث احتدمت الحركات الوطنية (في السودان وكينيا وتنجانيقا) .

٢ - ادراك بريطانيا أن تواجدها جنوب السويس وعلى الساحل الشرقي لافريقيا يعني تورطها في مزيد من الصراعات ضد الحركات الوطنية التي بدأت تفوح بها المنطقة العربية شمال وغرب السويس بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر واحتمال انتقال نفس الامر الى شرق السويس حيث أهم المصالح البريطانية النفطية بجزيرة العرب .

نتيجة لكل ذلك بدأت بريطانيا تصفي وجودها جنوب السويس فانسحبت من قاعدة ماكينون رود بكينيا . وكانت قبل ذلك قد انسحبت من قاعدة السويس ذاتها ثم من قاعدتها العتيدة في عدن في الجنوب اليمني بعد صراع مسلح قاده الشعب هناك وأدى الى الاعتراف بقيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بقيادة الجبهة القومية . ولم يعد لها وجود عسكري يذكر .

وانطلاقا من استراتيجية التكامل الاستعماري الاستراتيجي لتفادي حدوث فراغ تقدمت امريكا وهي القوة الاستعمارية العملاقة الجديدة وتزحف على معاقل بريطانيا جنوب السويس بعد ان بدأ العملاق النامي الصيني يزحف حيثا تجاه الشرق الافريقي .

وكان تقدير امريكا ان وجودها جنوب السويس في ارتريا برا وبحرا وجوا ووجودها شمال السويس في البحر الابيض من خلال اسطولها السادس ووجودها غرب السويس في هويس قبل طرد الوجود الاجنبي من الجمهورية العربية الليبية بعد ثورة الفاتح من سبتمبر يعني سيطرتها على منابع النفط التي تتواجد في السعودية والخليج العربي وايران . لهذا وسعت امريكا وجودها العسكري في ارتريا . فلم يعد قاصرا على قاعدة كانيو ، بل اصبح لها اربع قواعد اخرى متعددة اهمها ميناء مصون حيث انشأت امريكا قاعدة بحرية وجوية فيه ، تعتبر المرفأ الاخير لرحلة الاسطول السابع في جنوب شرق آسيا . وطبقا لبعض المعلومات فأن بعض قطع الاسطول السابع تقوم كل شهر بمظاهره استعراض عضلات في البحر الاحمر ، كما اشتركت حاملات طائرات الاسطول في مناوره بحرية أمام ساحل طيغو الارتري مع قطع الاسطول العربي الاسرائيلي في مارس ١٩٧١ .

وتدعيمها لهذا الوجود الامريكي غير الشرعي الذي تزايد بعد تصفية قاعدة هويس تقوم امريكا بتخصيص ٥٠٪ من مجموع مساعدتها الاقتصادية والعسكرية للقارة الافريقية كل لاثيوبيا لانها ترى في دعم هذا النظام وامداده بكل وسائل القمع لحركات التحرر الوطنية ، ضرورة استراتيجية ، ومع تزايد ازمة الطاقة التي تعاني منها امريكا خاصة .. بدأت امريكا تعيد حساباتها .. فهي الان تملك موطن قدم شرقي السويس في قاعدة (الجفير) البحرية في البحرين وفي غيرها من امارات الخليج العربي .. كما انها بالتنسيق بين اسرائيل وايران تقوم بتنفيذ استراتيجية الحزام المانع حول جزيرة العرب كل لفصلاها تماما عن الوطن العربي وهو الامر الذي يعني حدوث تكامل استراتيجي بين الوجود الامريكي جنوب وشرقي وشمال السويس في مواجهة الوجود السوفيتي المتزايد في البحر الابيض والمحيط الهندي خاصة .

الاستراتيجية الصهيونية في البحر الاحمر وادتریا

الشيء الجدير باللحظة ان العلاقة الصهيونية كعلاقة عضوية تتضح بأجل ما يكون في جنوب السويس استكمالا لنفس الدور الذي تلعبه اسرائيل لامريكا شمال السويس ذلك انه لم يعد خافيا ان الاسطول

ال السادس الامريكي يتمتع بتسهيلات في قاعدة أشدود الصهيونية على البحر الابيض لدرجة يمكن معها اعتبار أشدود قاعدة امريكية .

وفي جنوب السويس وانطلاقا من عقدة المبرات المائية في البحر الاحمر كانت اسرائيل تدرك منذ اغتصابها لمنطقة « أم الرشاش » وانشطتها عليها ميناء « ايلاط » ان خانق شرم الشيخ ولو أمكن السيطرة عليه يعني أن البحرية الصهيونية معرضة لاختناق في أقصى جنوب البحر الاحمر عند باب المندب حيث لا تستطيع القبضة الصهيونية ان تكون فاعلة او مؤثرة .

ونستطيع ان نلحظ ذلك الحسن الاستراتيجي العدواني لدى كبار قادة اسرائيل وخاصة موشي ديان الذي أعلن سنة ١٩٥٢ أن امن اثيوبيا وسلامتها هو ضمان لاسرائيل وان هذا لن يتحقق الا بخضوع ارتريا خصوصا مباشرا وتاما لاثيوبيا وان هذا كما قال هو السبب وراء تأييد اسرائيل القوي للمصالح الاثيوبية في ارتريا .

وبعد اسابيع قليلة من قيام الفدارلي بين ارتريا واثيوبيا حصلت اسرائيل على امتيازات واسعة في المنطقة منها اقامة شركات تجارية وزراعية مثل انكودي للحوم وسيما للزراعة واميران للتجارة . بجانب السيطرة الكاملة على اجهزة المخابرات الاثيوبية

وتدريب فرق الكماندوز لمحاربة ثوار ارتريا واقامة قواعد عسكرية في الجزر الارترية وبخاصة جزر دهلك .

ان اسرائيل تستهدف من وجودها في البحر الاحمر شمالا وجنوبا : -

١ - فرض الوجود البحري الصهيوني في البحر الاحمر ولهذه الغاية أوجدت طرادات حراسة تسير بسرعة ٥٠ ميلا وتواكب البوادر التجارية حتى المحيط الهندي ، كما أمنت محطات تزويد بالوقود في جزر حلب وفاطمة وميناء عصب وجزر دهلك وبعض الجزر المحتسبة من اليمن مثل ذكور وحانش .

٢ - خلق عمق استراتيجي لها يشتت الجهد العربي العسكري على طول البحر الاحمر كله . ويقول (دافيد هولدن) في الصنداي تايمز بتاريخ ديسمبر كانون أول ١٩٧٠ (ان السبب الحقيقي وراء التعاون الاثيوبي الاسرائيلي - هو المصلحة المشتركة ، ويدعى الاسرائيليون انهم مثل اثيوبيا محاطون بالعداء العربي . وهناك ايضا البحر الاحمر المر الحيوي للمحيط الهندي ، وهكذا أصبحت اثيوبيا منذ العقد الماضي احد اهم الاهداف بالنسبة لاسرائيل على هذا المر ..)

ربصورة تدريجية واختيارية وبطريقة واعية ، وبمعرفة ومبركة الامبراطور تمكן الاسرائيليون من خلق موقع نفوذ قوية في اثيوبيا انهم يسيطرون على مرافق السير والعمليات في مصوع ، كذلك في ادارة بنك الدم ، ويقدمون الخبرة في حقل البناء والطرق الصيد والصيدلة وعاونوا السلطات المحلية في ابحاثها الجيولوجية في طول البلاد وعرضها كما ان لهم خبراء في القوات المسلحة الاثيوبية ، ويسطرون سيطرة تامة على قوى الامن الداخلي في البلاد . ويعمل بعض الضباط الاسرائيليين مع قوى الامن الاثيوبية التي تقاتل رجال جبهة التحرير الارترية . وهناك ايضا توافق في التكتيك بين الاثيوبين والاسرائيليين من جهة مساندة حركة تحرير اخرى على الجهة الاخرى من الخط (جنوب السودان) كل هذه الاشياء والعناصر اصبحت تلقى بشقها في المنطقة خاصة بعد حرب الایام الستة وانسحاب بريطانيا من عدن » .

٣ - كسر طريق الحصار السياسي العربي الذي يملك اغلب سواحل البحر الاحمر والافتتاح على دول افريقيا وآسيا .

٤ - تأمين ملاحة ناقلات النفط بين ايران وايلات

لضمان استمرار خط انايبيب ايلات . - اشتدود
وانعاش كل موانئ ونقاط استقبال وتكرير
النفط واعادة تصديره .

٥ - حماية التجارة الصهيونية الخارجية مع دول
جنوب وشرق افريقيا وآسيا .

وتدعيمها لهذه الاستراتيجية التوسعية العدوانية
انتجت الترسانة العسكرية الصهيونية السلاح الذي
يستطيع أن يلبي هذه الاحتياجات الاستراتيجية .
ولعل أهم هذه الاسلحة زوارق الصواريخ المعدلة
والمزودة بالصواريخ الاكثر فنية والهدف من كل ذلك
هو أن تقوم اسرائيل بجانب استراتيجيتها العدوانية
بدورها في استراتيجية الحزام المانع من حول جزيرة
العرب غربا حيث البحر الاحمر كجزء من المخطط
الاستراتيجي الامريكي لضمان استمرار تدفق نفط
جزيرة العرب والгинولة دون حدوث ثورات وطنية بها
تحدد من استمرار وجود الاحتكارات والمصالح
الامريكية .

وفي ضوء كل هذه الاعتبارات نستطيع ان نسر
موقف العدو الصهيوني الى جانب الحكم الايثيوبى العميل
من الثورة الارترية واذا أدركتنا ذلك نستطيع ان نخطو
خطوة اخرى وهي ان العدو الصهيوني نجح بفضل
علاقته العضوية بأمريكا في زج الثورة الارترية في

أتون الصراع العالمي ليضمن استمرار دعم أمريكا له
وللحكم الإثيوبي بحكم وحدة الهدف .

الثورة الارترية واستراتيجيتها :

في أقصى جنوب البحر الاحمر وعلى الساحل الشرقي
للمقارة الافريقية تقع ارتريا بموقعها الاستراتيجي
المتحكم ، ويحدها السودان شمالاً والصومال جنوباً

ويعتقد أن سكان ارتريا الاولئ كانوا من النيليين
الذين هجروا موطنهم في جنوب وشرق السودان
ليستقروا في منطقة العاش وسيتنيت والمناطق المنخفضة
ثم غزت قبائل رعوية حامية المنطقة من صحراء السودان
وحكموها أو طردوا مجموعات النيليين ووصلوا الى حدود
إثيوبيا الشمالية . بعدهم عبر السبيطيون البحر الاحمر
من هضبة اليمن واعقبتهم هجرات متتالية من جنوب
الجزيرة العربية وخاصة الحميريين . وكان السبيطيون
والحميريون - بالمقارنة مع من سبقوهم - أهل حضر على
درأية بأساليب الزراعة وشئون التجارة والادارة .
ونقلوا حضارة جديدة الى المنطقة بتكونيهم أساس ثقافة
سامية في منطقة الهضاب وصارت لغتهم هي اصل اللغة
التجرينية . وكانت أكسوم حاضرة مملكتهم وامتد نفوذ
ملوكها المسيحيين الى مناطق بعيدة .

وامتنجت كل هذه الهجرات وانصهرت لتكون المجتمع الارترى ذو البصمات الاغريقية والرومانية والمصرية والعربية وحتى الفارسية . ولكن يبرز تأثير الهجرات السبئية والحميرية اليمنية بروزا يطغى على كل العناصر حيث ان معظم القبائل الارترية تنحدر من تلك الاصول ومن اصول البعثة الحاميين .

وفي العصور الوسطى كانت معظم الاراضي الارترية تحت حكم رجال قبائلها . وقد تكونت بها ممالك صغيرة مستقلة عن بعضها . وكان بعضها يتعامل تجاريا مع سلاطين مصر آنذاك ورغم خضوع مناطق كثيرة في ارتريا لنفوذ خارجي أما تركي أو سوداني أو مصري أو اثيوبي فان السلطات الفعلية ظلت في ايدي رؤساء محليين كانوا يحملون لقب (النائب) في منطقة (مصوع) و (رأس) في منطقة الهضاب الوسطى والجنوبية و (كتنيبى) في الهضبة الشمالية و (دقلل) في السهول الغربية و (سلطان) في دنكاليا .

وأثر انتهاء الاحتلال الإيطالي في عام ١٩٤١ بهزيمة ايطاليا في الحرب العالمية الثانية حاول الشعب الارترى الحصول على استقلاله وناضل في سبيل ذلك بكل امكانياته . ولكن المخططات الأمريكية نجحت في حمل الامم المتحدة الى اتخاذ قرار يحقق لا ثيربيا مطامعها في البحر الاحمر . فأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة

قرارها الفدرالي رقم ١٩٥٠-١٢-٥/٣٩٠ في بارتباط ارتريا في اتحاد فدرالي مع اثيوبيا في سياق المناقشات التي دارت حول مصير المستعمرات الايطالية السابقة في افريقيا وهي ارتريا وليبيا والصومال .

الا ان القرار برغم كل ذلك نص في مادته الاولى على (ان ارتريا وحدة ذاتية مستقلة ذات سيادة في الامور الداخلية متحدة فدراليا مع اثيوبيا وفق صلاحيات محددة لكل من الحكومتين) .

كما أكدت الامم المتحدة ان الاتحاد الفدرالي بين ارتريا واثيوبيا منطلق من مبدأين :

- ١ - استقلال ارتريا كوحدة اقليمية وسياسية قائمة بذاتها لها دستور ديمقراطي وحكومة ارتيرية . . .
- ٢ - ارتباطها فدراليا مع اقليم اثيوبيا في الشئون الخارجية والدفاع .

وتاكيداً لذلك اعتبرت الامم المتحدة هذين المبدأين غير قابلين للنقض وبرغم كل الشبهات التي احاطت بإعلان الاتحاد الفدرالي ، فقد احترم الارتريون كل قوانينه وصولاً الى تحقيق صيغة تعاون مع اثيوبيا تحفظ للشعب الارتري كافة حقوقه ولكن كل هذه المحاولات الارترية الجادة لم تقابل من الجانب الايوببي المدعوم بالامبرالية الامريكية الا بالتأمر ، فمنذ قيام

الاتحاد رسمياً في سنة ١٩٥٣، وحتى الغائه رسمياً سنة ١٩٦٢ من جانب الحكومة الأثيوبية، مارس الحكم الأثيوبي سياسة عدوانية تجاه ارتريا .

ففي أعقاب انسحاب القوات البريطانية من ارتريا دخلت القوات الأثيوبية ارتريا واحتلت المنشآت التي اخلاقها البريطانيون ، ولم تكتف اثيوبيا بذلك ، بل اعلنت ان تواجه قواتها على الاراضي الارترية، هو تأكيد مادي ملموس لسيطرتها التاريخية على ارتريا . وكان هذا هو أول طعنة لقرار الامم المتحدة بانشاء الاتحاد الفدرالي ، وقد أعقبت هذه الطعنة طعنات أخرى ، ذلك انه لم يكن ممكناً ان يقوم هيلاسيلاسي بتنفيذ كل بنود قانون الاتحاد الفدرالي ، فالحكم الاوتقاطوي الاثيوبي لم يكن يقبل بقيام مؤسسات دستورية اتحادية تحد من سلطته غير المحدودة سواء على ارض اثيوبيا او ارتريا ، بل كان قراره او طعنته الثانية هي رفض كل المؤسسات الاتحادية الدستورية واعتبار حكومته الاقطاعية الحكومة الاتحادية ، وارساله ممثلاً عنه الى اسمرا عاصمة ارتريا ، ليشرف على كل الوضائع فيها باعتباره ممثلاً للسلطتين التنفيذية والتشريعية . انطلاقاً من هذه الصلاحيات خرق ممثل هيلاسيلاسي القوانين والحرمات وجمد سلطة الحكومة الارترية ، كما قام بفرض سياسة ضرائبية على كل المؤسسات التجارية والصناعية والزراعية ، وهو الامر

الذى اضطر معظمها الى تصفية اعمالها واحادث ضائقه اقتصادية وبطالة واسعة بين اليدى العاملة .

ولما كان ذلك يعني بروز تيار وطنى مناهض عمد ممثل هيلاسيلاسي الى كبرى كل الحريات الديموقراطية الدستورية فألغى الاحزاب فيما عدا الحزب الوحيدة الموالى لاثيوبيا . كما تدخل في الانتخابات البرلمانية لحشيد المجلس بالقوى الرجعية والطائفية التي تقبل بتنفيذ آراء حكومة اثيوبيا .

وعلى طريق تقلص سيادة الحكومة الارترية وجعلها مجرد جهاز خاضع للحكومة الاثيوبية ، قام ممثل هيلاسيلاسي بأصدار قرارات تم بمقتضاها الحصول على كل موارد ارتريا المالية كالجمارك والمطارات والمناجم والمواصلات بمختلف انواعها والموانئ وصيد الاسماك الخ .. في مقابل تخصيص مبلغ مقطوع من المال سنويا لحكومة ارتريا .

وعندما تصدت العناصر الوطنية لهذه الخطوة لادرakahها لخطورتها المستقبلية قامت السلطات الاثيوبية بحملات اعتقال واسعة شملت النساء والرجال على حد سواء كما اضطر الالاف وخاصة من العمال الى الفرار واللجوء الى الدول العربية المجاورة وعبروا البحر الاحمر او حتى دخل اثيوبيا لتفادي الازمة الاقتصادية الخانقة او الاعتقال تحت اي حجة تدفع بها السلطات الاثيوبية .

وقد حرصت الحكومة الإثيوبية على استمرار الهجرة العمالية الارترية لأن ذلك يعني فقدان العمل السياسي أو المعادي لها أكبر وأهم قواعده كما يعني كذلك تدفق النقد الاجنبي على الخزينة الإثيوبية في صورة الاعانات التي سيرسل بها العمال الارتريون إلى ذويهم في الداخل .

ولم تكتف السلطات الإثيوبية بذلك بل امعنت في محو كل مقومات الشخصية الارترية فشرعت سياسة تعليمية موجهة هدفها القضاء على اللغتين الرسميتين في ارتريا . وهما العربية والتجرينية وفرضت اللغة الامهرية لغة رسمية . مما دفع بالقاعدة الطلابية الوعائية إلى اللجوء هي الأخرى إلى الدول العربية المجاورة ، لمواصلة تعليمها باللغة العربية او إلى أوربا ومختلف انحاء العالم . وانطلاقا من نفس المخطط الغت اثيوبيا العلم الوطني الارטרי سنة ١٩٥٨ باعتباره آخر رمز من رموز السيادة والشخصية الوطنية في ارتريا . واعقبت ذلك بالتوسيع في سياسة التمييز والتقسيم بين عناصر الشعب الارtri مستغلة خاصية عامل الدين . كما حرصت اثيوبيا على خلق كوادر ادارية عميلة مرتبطة بها وبنظامها الرجعي المتحالف مع الامبراليالية الأمريكية والصهيونية العالمية .

وفي ضوء كل هذه الاوضاع والمصالح الاحتكارية

الامبرالية بدأت جماهير الشعب الارتري من مسلمين ومسحيين تفقر بالثورة ، وتعددت مظاهرات الطلبة كتعبير عن ما يجيئ بصدر الجماهير كلها ... وفي البداية حاول الارتريون استخدام اسلوب العمل السياسي التقليدي من حيث تنظيم المظاهرات ورفع المذكريات وبرقيات الاحتجاج الى هيلاسيلاسي والامم المتحدة ولكن وامام الضغط والارهاب اللذين تزايدا بصورة كبيرة لدرجة خيل للمرأقبين معها ان الحكم الرجعي الاثيوبى يقوم بسياسة مشابهة لسياسة العدو الصهيوني في الارض المحتلة لتفريتها من أهلها بالهجرة الجبارية ..

أمام هذا الارهاب المتزايد وبرغم سوء الاوضاع في ارض الظهير السوداني فضلا عن سوء الاوضاع في اثيوبيا نفسها بعد فشل الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال منغستو نواى سنة ١٩٦٠ للاطاحة بحكم هيلاسيلاسي فقد استطاع الشعب الارتري بفضل طلائعه الثورية ان ينشئ تنظيما يعبر عن آماله أسماء (جبهة التحرير الارترية) ومع بداية سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٦١ قام المناضل حامد ادريس عواتي مع بعض تشكيلات الجبهة العسكرية التي امكن اعدادها بسلاح بسيط يعلن للعالم بدأ الشر الارترية المسلحة ضد العدو الاثيوبى وحلفائه . وأهم بنده في دستور جبهة التحرير الارترية اوضح أن هدف الكفاح المسلح

الارتري هو تحقيق استقلال ارتريا ووحدة اراضيها واقامة جمهورية ديمقراطية .

وفي الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٤ استطاعت الثورة ان تؤكد لل فلاحين البسطاء والرعاة ان الثورة على حكومة هيلاسيلاسي وجيش الاحتلالها وهزيمتها أمر ممكن عبر حرب عصابات طويلة الاجل . ونتيجة لهذه القناعة ، لدى الفلاحين والرعاة استطاعت الثورة ان تشق طريقها وسط الريف لتحرير جزء منه وفر لها منطلقاً مؤثراً معتمدة على امكانياتها الذاتية وعلى دعم الجاليات العمالية الارترية المنتشرة في السودان والسودانية والتي وفرت الحد الضروري من المال والسلاح قبل ان تحصل الجبهة على أي دعم خارجي .

وعلى الصعيد الخارجي نجحت قيادة الثورة في شرح اهدافها وحقيقةتها لبعض الدول العربية واستطاعت ان تحصل على مساعدات من بعضها مكنتها من الصمود في وجه حملات هيلاسيلاسي التي اتخذت اسلوب الارض المحروقة ، أساساً لتحرر كاتها بعد احرار الثورة نجاحات هامة في المجال العسكري والسياسي . وبعد ان احرقت القوات الاثيوبية اكثر من خمسمائة قرية وعلقت المئات من قتلى الثوار في المشانق التي نصبتها في الساحات العامة في معظم المدن الارترية ، لجأ نحو ٨٠ الف ارتري الى الارض السودانية ولا يزالون يعيشون هناك في حالة من التشرد تحصدتهم المجاعات والوبية .

وتمكنَت الثورة الارترية مؤخراً وتحت قيادة قوات التحرير الشعبية لجبهة التحرير الارترية ان تشق طريقها داخل المجتمع الاثيوبي نفسه من خلال المنظمات الثورية التي تلتقي واياها برفض الحكم الرجعي الايثيوبي والامبرialisية الامريكية والصهيونية العالمية كما تعمل للتلامُح مع حركة النضال الصومالي حيث يعطيها ذلك صديقاً يعاني من نفس الاطماع الايثيوبية الاستعمارية التوسيعة .

كما تقوم استراتيجية الثورة الارترية على التلامُح مع حركة النضال العربي حيث ان الارضية التي تجمع بين النضال العربي والنضال الارترى واضحة حيث ان كليهما يواجه عدوا واحداً هو العدو الصهيوني والامبرialisية الامريكية فضلاً عن العدو الايثيوبي الذي يعتمد الاستعمار كأيران قوة استنفاذ لطاقات النضال العربي بأطماء في الاراضي العربية هذا بجانب علاقتنا التاريخية والثقافية والجغرافية والتي تشكل أساساً راسخاً لاخائناً مع الامة العربية ، ومن هنا علاقتنا الحميمة مع ثورة فلسطين الشقيقة .

ويكفي دليلاً على عمق هذه العلاقة مع العالم العربي ، ان شعب ارتريا كان اول شعب خارج اطار العالم العربي المعروف يتخذ اللغة العربية لغة رسمية له ب جانب اللغة التجريبية بمحض قناعته وانسجاماً مع واقعه الشعافي على الرغم من معارضة اثيوبيا وامريكا وبريطانيا .

ان النضال المسلح يتتصاعد يومياً وان ثوارنا تمكناوا من ارهاق اقتصاد العدو الاثيوبي وحيث تكلفة حربه العدوانية ضد ارتريا ثلث ميزانيته المضطربة على الرغم من الدعم الامريكي والاسرائيلي الواسع . كما عطل الثوار خطوط السكك الحديدية التي تربط اسمرة بمصوع ، هذا بجانب تحرير الجزء الاعظم من الريف الارتري واقامة نوع من الادارة الثورية . وقد فقد العدو آلاف الجنود والضباط ومئات المصفحات وناقلات الجنود في كمائن الثوار المحكمة ، في شواهد الجبال والأدغال الصحاري ، التي حباها الله لارتريا ، كعامل مساعد لكفاح شعبها العادل .

وبالطبع استشهد من أبناء الشعب عشرات الالاف وأصبح أكثر من ربع مليون بلا مأوى بفعل القصف الوحشي .

على أن مسيرة الثورة لم تكن بلا معوقات فالانشقاق الذي أصاب قيادة الثورة منذ عام ١٩٧٠ كان له تأثير سلبي ولم تكن السلبيات العربية بعيدة عن تلك الخلافات هذا اذا لم تكن انعكاس للصراعات والخلافات العربية ، بل لا يبالغ اذا قلنا ان ما حدث ويحدث للثورة الارترية يكاد يطابق علاقه الثورة الفلسطينية بالأنظمة العربية . اننا اليوم في وضع افضل وتحظى ثورتنا تلك الصعاب نحو آفاق التصعيد المستمر للنضال ضد الاحتلال الاثيوبي .

ان الحديث هذه الايام في الدوائر العربية واجهزة الاعلام يدور حول ضرورة الاسراع في وضع استراتيجية عربية موحدة لمحابهة الوجود الصهيوني المتنامي في جزر عربية وارترية عديدة في البحر الاحمر . ولقد سبق للثورة الارترية ان نبهت لهذا الوجود منذ وقت ليس بالقصير ، بل ترى في مقاومة هذا الوجود جزء من نضالها لا يتجرأ .

ونحن نتحدث عن الثورة الارترية كركيزة مهمة في مقاومة الصهيونية وللامبرالية العالمية في المنطقة نحب ان نؤكد على ان اية استراتيجية في البحر الاحمر لو قدر لها ان تتبلور – لا تضع في الاعتبار استراتيجية واضحة لتدعم وتأيد الثورة الارترية تدعيمها وتأييدها فعليين ومباشرين ، مآلها الفشل لا محالة لان اعاقبة الثورة الارترية او خنقاها من قبل التحالف الاثيوبي الامريكي الصهيوني يعني – من بين ما يعني – تثبيت العدو الصهيوني لقادمه في أقصى جنوب البحر الاحمر وهو الامر الذي يعني في نهاية المطاف توسيع رقعة المحابهة مع العدو الصهيوني وتشتيت أي جهد عربي يحاول الاستعداد لتحرير الارض العربية المحتلة .

لقد اعلننا انحيازنا للعالم العربي في صراعه ضد الصهيونية والاستعمار بل اتنا ندمر فعلاً المنشآت الاسرائيلية في ارتريا وعندما تنتصر الثورة وترفع

رأية الاستقلال فلن نسمح بأي وجود للكيان الصهيوني لا في أراضينا ولا في مياهنا ولا جزرنا . كما لن نسمح ببقاء القواعد العدوانية الامريكية في ترابنا . ما نطلبه من العالم العربي وهو حق لنا - ان يعلن وقوفه بجانبنا وان يقدم لثورتنا الدعم السياسي والاعلامي والمالي والعسكري انطلاقاً من نظرة استراتيجية واضحة . وكم يحز في نفوسنا أن نرى معظم البلدان العربية لا تزال تقف موقفاً غير مكتراث من هذه الثورة المؤثرة في مصير حوض البحر الاحمر الذي هو عبارة عن بحيرة عربية ، والبعض منها - وهذا هو الاسوء - يقف موقفاً معادياً ويمالئ الاستعمار الايثيوبى . ان ذلك يولد المراة في نفوس المناضلين الارتربيين .

ان الثورة مع اعتمادها على دعم العالم العربي ، تسعى جاهدة لكسب عطف دول العالم ومحبي السلام والحرية . استناداً الى شرعية نضالها وعدالة القضية الوطنية .

وللثورة الارترية صلات مفيدة بعدد من الدول والمنظمات والاحزاب في مختلف انحاء العالم . وان الجهد تتركز حالياً في اثارة القضية على نطاق دولي وأمام المنظمات الدولية وبخاصة هيئة الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية .

ولقد بدأنا خطوة حثيثاً في هذا العام نحو ابراز حقيقة قضيتنا للرأي العام الدولي .



واضع هذه الدراسة هو السيد عثمان صالح مبكي رئيس اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي لجبهة التحرير الارترية قوات التحرير الشعبية والناطق الرسمي لها وهو يعد من مؤسسي الحركة الوطنية المسلحة في ارتريا ومن المثقفين الارتربيين القلائل الذين ركزوا اهتماماتهم على تاريخ منطقة البحر الاحمر وشمال شرق افريقيا بشكل خاص ، وهو بهذه الدراسة القصيرة يقدم مساهمة جديدة في مجال البحث عن حقيقة وخلفيات الصراعات الاستعمارية في حوض البحر الاحمر .

الفائز